منتهى لها

وعنه حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به او معلوماته تعالى لا احاطة بها ولا منتهى لها
فان قلت في قوله لما انها حذف العايد المجرور بالحرف مع انتفاء شرط جوازه وهو
وهو ان يجر بما جر به الموصول لفظا ومعنى ويتعلقا قلت نعم لكنه للضرورة وذلك
انما هو شرط لحذفه في الاختيار والله اعلم ثم شرع في القسم الثاني وهو ما يستوي في
حق الانبيا عقلا فقال ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام ضدها اي ملابسة
ضد هذه الواجبات السابقة وهو الخيانة والكذب وعدم الفطنة والبلادة
وكتمان شيء مما امروا بتبليغه ونتكلم على كل واحد من هذه الامور بما يوضحه
انتفاؤه لوجه الله تعالى فنقول اما الخيانة وهي تلبسهم عليهم الصلاة والسلام ظاهرا
او باطنا بمنهي عنه نهي تحريم عند الجمهور او ولو نهي كراهة على قول غيرهم قلت
وهو اللائق بمقامهم الكريم وقدرهم المنيف فلا تخفى عليك وفقنا الله واياك ان
المعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية
الاحكام فما يتوهم صدوره من الانبيا من القبايح اما ان يكون منافيا لما تقتضيه
المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ اولا والثاني اما ان يكون كفرا او معصية غيره
وهي اما ان يكون كبيرة كالقتل والزنى او صغيرة وهي اما ان تكون منفرة كسرقة لقمة
وكالتطفيف بحبة او غير منفرة ككذبة في غير ما يرجع للتبليغ وهم بمعصية وكل ذلك
اما عمدا او سهوا واما قبل البعثة او بعدها فاما الكفر فهم معصومون منه قبل النبوة
وبعدها بالاجماع وان لزم تجويزه عليهم من قول الازارقة من الخوارج بجواز صدور
الذنب عنهم مع قولهم بان كل ذنب كفر واما الشيعة فانهم جوزوا اظهاره تقية
واحترازا عن القاء النفس في التهلكة ومع ذلك رد عليهم بان اولى الاوقات بالتقية
ابتدا الدعوة لقلة الانصار والاتباع وقوة شوكة المخالف ولم يصح نقل شيء منه
عن احد منهم مع انه يؤدي الى اخفايها او تركها بالكلية ومن ثم لما ارسل
محمد صلى الله عليه وسلم حيث تصدى وهو فرد لدعا عالم الثقلين الى التوحيد
واتباع الحق واتلاف الشرايع وقذف بالحق الباطل اما امتناع الكفر عليهم
بعد النبوة فظاهر واما قبلها فلانه لم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا ممن
نبى قبل ذلك نبي ولا امكان مستنده هنا الباب التقارع ان القلوب تنفر
عمن كانت هذه سبيله ولقد رمت قريش نبيا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبياها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الرواة
الينا ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهتهم وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبده قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم
عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل

لو

على انهم لم يجدوا اليه سبيلا اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل
القبلة حيث قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم قلت
وفيه نظر اذ لا يدل الا على عدم الوقوع لا على امتناعه نعم ما يحسن بيانه الاستدلال بقوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن
مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا
اليما وقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه اذ من البعيد
ان ياخذ الله منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد
كيف وقد شق صدره عليه الصلاة والسلام صغيرا واستخرج منه حظ الشيطان
وملئ حكمة وايمانا وقد ذهب بعضهم الى الله فعل بجميعهم عليهم الصلاة والسلام مثل ذلك
فان قلت فما تصنع بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي قلت معظم
الحذاق من اهل التفسير على انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم فهو من
مجاراة الخصم ليعثر وتقوم الحجة عليه او انه على تقدير اداة الاستفهام الوارد مورد
الانكار والمراد افهذا ربي او انه قال ذلك بحسب زعم قومه اي هذا ربي على زعمكم
ونحوه الباطل كما قال تعالى اين شركاي اي عندكم واما من قال كان هذا منه في سن
الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف فقد صادم اطلاق القول
بالعصمة من الكفر قبل النبوة وعبارة بعض المتاخرين الانبيا معصومون من الكفر
قبل النبوة وبعدها في صغرهم وكبرهم انتهى فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قلت معناه ان لم يؤيدني ربي بمعونته اكن
مثلكم في ضلالكم وعبادتكم قاله حذرا واشفاقا وتواضعا لله تعالى وتبريا من الحول
والقوة وان كان في تحقق وان قل بحيث والا فهو معصوم في الازل من الضلال
فان قلت فقد قال فرعون لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من
الكافرين واجابه موسى بقوله فعلتها اذا وانا من الضالين وذلك اعتراف
بما رماه به فرعون من الكفر قلت ان حمل الكفر في كلام فرعون على حقيقته
فليس قول موسى وانا من الضالين اعترافا بما رماه به ولا تصديقا له لان المراد
بالضالين الجاهلين كما قرئ به والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه
بحسب الصورة الظاهرية وهذا الاستلزام ان تكون منهم في نفس الامر حتى ينافي
ما سبق كما علموهم ومعادتهم عليهم الصلاة والسلام او المخطئين لانه لم يتعمد قتل القبطي
وانما قصد تاديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز من القتل اذ لم يقصده وانما قصد التاديب
او الناسين كما في قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وان حمل على كفر
النعمة بقتل رجل من خواصه من تربيته اياه في بيته وعلى تربية وتربية اولاده

Copyright © King Saud University